

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١]؛ أما بعد: فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله - تعالى -، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نص حديث الباب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -». (١)

الفوائد المتعلقة بحديث الباب:

الفائدة الأولى: الفرق بين العَرَّافِ والكَاهِنِ:

وقع نوعٌ خلافٍ بين العلماء في التفريق بينهما، ولكن الحاصل: أنَّ العَرَّافِ هو من يسعى للوصول إلى بعض الأمور الغائبة، كشيء مسروق أو شيء غائب، مستخدمًا في ذلك الحدسَ والتخمين، مثل: قراءة الكفِّ والفرجان، أو رسم الخطِّ على الرَّمال.

^١ أخرجه أحمد (٩٥٣٢) والترمذي (١٣٥) وأبو داود (٣٩٠٤) والنسائي في الكبرى (٨٩٦٨) والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٤٩٦) والحاكم (١٥)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً"، ووافقه الذهبي، وقد أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٨٢) من طريق جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - مرفوعاً...، وقال: "رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا عقبة بن سنان، وهو ثقة". اهـ.
قال أحمد شاكر: "وهذا إسناد صحيح متصل". وانظر صحيح الجامع (٥٩٣٩) والسلسلة الصحيحة (٢٣٨٧)، وصحيح الترمذي والتزييب (٣٠٤٤). وللحديث طرق أخرى بأسانيد موقوفة، فقد رواه ابن الجعد (١٩٥٤)، وابن أبي شيبة (٢٣٥١٥) عن علي بن مسعود - رضي الله عنهم - موقوفاً. وهو وإن كان موقوفاً فإنَّ له حكم الرفع؛ فمثل هذا لا يقال بالاجتهاد.
قال ابن حجر:

"ورد في ذم الكهانة: ما أخرجه أصحاب السنن وصححه الحاكم من حديث أبي هريرة رَفَعَهُ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»، وله شاهد من حديث جابر وعمران بن حصين، أخرجهما البزار بسندين جيدين، وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن مسعود بسند جيد، لكن لم يصرح برفعه، ومثله لا يقال بالرأي". اهـ. فتح الباري (٢١٧/١٠).

وأما الكاهن فهو الذي يستطلع الأمور الغيبية من الغيب النَّسْبِيّ؛ وذلك عن طريق مُسْتَرَقِي السمع من الجنّ الذين يأتون الكُهَّانَ بالأخبار.

– قال الخطابي:

"الكاهن إنما يَتَعاطى الخبرَ عن الكوائن في مستقبلَ الزمان، ويدّعي معرفة الأسرار، والعَرَاف هو الذي يتعاطى معرفة الشيء المسروق، ومكان الضَّالَّة، ونحوهما من الأمور".^(١)

*** الفائدة الثانية: قصة الكُهَّان:

كان الكُهَّان منتشرين في جزيرة العرب قبل البعثة النبوية، وكان لكل كاهنٍ رِيٍّ من الجن يأتيه بالخبر من السماء. وقد ذكر الله - تعالى - عن الجن قولهم: { وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا * وَأَنَا كُنَّا نَنقَعُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا } [الجن: ٨-٩]، فإذا ما أوحى الله - تعالى - لملائكته الأمر من الوحي صعد الجن لِيَسْتَرْقُوا أخبار السماء؛ فترسل عليهم الشُّهُبُ لِتُحرقهم، فمن لم تُصِبه الشهبُ ألقى إلى الكاهن الكلمة من الصدق، فيزيد عليها الكاهن مئة كذبة، كما قال - عز وجل - : { يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ } [الشعراء: ٢٢٣]، فالجن يُلقون إلى الكهنة ما يسمعون من الملائكة عند استراق السمع، { وَأَكْثُرُهُمْ } أي: الكهنة { كَاذِبُونَ }؛ لأنهم كانوا يَخْلِطون ما يسمعون بكذبٍ كثيرٍ.^(٢) وقد ورد في حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - : «تَلِكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُئُهَا الْجَنِّيُّ فَيَقْرُئُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ كَذِبَةٍ».^(٣)

** قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"قد عِلِمَ الخاصَّةُ والعامةُ بالتحريبة والتواتر أنَّ الأحكام التي يحكُم بها المنجَمون يكون الكذب فيها أضعاف الصدق، والمنجمون قد خاطبُتهم بدمشق، وحضر عندي رؤساؤهم، وبيئتُ فسادَ صناعتهم بالأدلة العقلية التي يعترفون بصحتها، وقال رئيسٌ منهم: والله إنا نكذب مئة كذبة حتى نصدق في كلمة".^(٤)

قال القرطبي: "كان الجن يَقْعُدون مَقَاعِدَ لاستماع أخبار السماء، وهُم المَرَدَّة من الجن؛ كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يُلقوها إلى الكهنة، فحرسها الله بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذٍ: { ...فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا } [الجن: ٩]".^(٥)

^١ معالم السنن (١٠٤/٣) والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢١٥/٤).

^٢ فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجرب الدين المقدسي (١٠٧/٥).

^٣ أخرجه البخاري (٦٢١٣) ومسلم (٢٢٢٨).

^٤ مجموع الفتاوى (١٧٢/٣٥).

^٥ الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٩).

*فائدة: من الجن من استرق السمع في بدء بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى أخبر الكهانَ بخر البعثة النبوية، وقد ورد في قصة إسلام الصحابي سواد بن قارب الدؤبي - رضي الله عنه - الذي كان كاهنًا في الجاهلية أن سبب إسلامه أن تابعه من الجن أخبره ببعثة النبي - صلى الله عليه وسلم -، ودعاه إلى أتباعه، =

– وقال -تعالى:- {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ *
إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ} [الحجر: ١٦-١٨].

- قال قتادة: "خلقت النجوم لثلاث:

١- زينة للسماء. ٢- وهداية للناس. ٣- ورجوماً للشياطين".^(١)

****** وورد بيان ذلك مفصلاً في رواية أبي هريرة -رضي الله عنه- يُلغ به النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ صَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسَّلْسَلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا {فُرِغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ} قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: {الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرَفُو السَّمْعِ، فُرُبًا أَدْرَكَ الشَّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ، فَيُحْرِقُهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى يُلْقَوْهَا إِلَى الْأَرْضِ، فَتُلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ، فَيُصَدِّقُ، فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا، لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعْتَ مِنَ السَّمَاءِ». ^(٢)

***** وفي رواية عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الملائكة تتحدث في العنان -والعنان: العمام- بالأمر يكون في الأرض، فتستمع الشياطين، فتقرأها في أذن الكاهن كما تُقرأ القارورة، فيزيدون معها مئة كذبة». ^(٣)

**** ومثال ذلك في قصة ابن صبياد:**

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي رَهْطٍ قَبِلَ ابْنُ صَبَّادٍ، حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبَّيَّانِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «تَشْهَدُ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ؟»، فَظَنَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَبَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَبَّادٍ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَتَشْهَدُ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَرَفَضَهُ، وَقَالَ: «أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»، فَقَالَ لَهُ: «مَاذَا تَرَى؟»، قَالَ ابْنُ صَبَّادٍ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ. وَمَا تَرَى؟» قَالَ:

=وذلك في قصة طويلة قصتها على عمر رضي الله عنه- في خلافته، حيث قال: "كنت كاهناً في الجاهلية، فبينما أنا نائم إذ أتاني نجبي فضررتني برجله، ثم قال: يا سواد بن قارب، اسمع أقل لك. قلت: هات، قال:

عجبت للجر وأرجاسها... ورخلها العيس بأحلاسها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى... ما مؤمئوها مثل أنجاسها

فأرخل إلى الصفة من هاشم... واسم بعينك إلى رأسها

قال سواد -رضي الله عنه-: فأصبتُ فأفتعدتُ بغيراً لي حتى أتيتُ مكة، فإذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد ظهر، قال: فأخبرته الخبر وبأبعثه".

قال ابن حجر: وأصل هذه القصة في صحيح البخاري من طريق سالم عن أبيه. وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (١٨٣/٣) وتجرید أسماء الصحابة (٢٤٨ /١) والوافي بالوفيات (٣٥ / ١٦).

^١ أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً (١٠٧/٤)، ووصله ابن حجر في التعليق (٤٧٩/٣).

^٢ متفق عليه.

^٣ أخرجه البخاري (٣٢٨٨).

أَرَى صَادِقِينَ وَكَاذِبًا - أَوْ كَاذِبِينَ وَصَادِقًا-، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لُبْسَ عَلَيْهِ، دَعُوهُ»، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنِّي قَدْ حَبَأْتُ لَكَ حَبِيئًا»، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ: «اِحْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ»^(١)؛ فَقَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا حَيَّرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ»^(٢).

***** مما سبق يتبين أن:** الجن كانوا قبل البعثة النبوية يسترقون السمع. وقد اختلف العلماء في استراق الجن للسمع بعد مبعث الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

١- **فقال قوم:** إن استراق الجن لأخبار السماء قد زال بمبعث الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك زالت الكهانة.

٢- **وقال آخرون:** إن استراقهم باقٍ بعد مبعثه -عليه الصلاة والسلام-.

***** والقول الراجح -والله أعلم-:** أن استراقهم باقٍ بعد بعثة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وكذلك رميهم بالشهب كان واقعاً قبل مبعث الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ولكنه لم يكن في الشدة مثل ما كان بعد بعثته؛ وهو ما رجحه ابن كثير والقرطبي وغيرهم.

**** ومما يدل على ذلك:**

(١) قوله -تعالى-: {...فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا} [الجن: ٩].

قال ابن كثير معلقاً على الآية السابقة: "وقد كانت الكواكب يُرمى بها قبل ذلك، ولكن ليس بكثير، بل في الأحيان بعد الأحيان"^(٣).

وقال القرطبي: "والقول بالرمي أصح؛ لقوله -تعالى-: {وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا} [الجن: ٨]. وهذا إخبار عن الجن أنه زيد في حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم"^(٤).

^١ قال صاحب المطالع: "الدُّخُّ" لغة في الدُّحَان، لم يستطع ابن صياد أن يثبت الكلمة، ولم يهتد من الآية إلا للذين الحرفين على عادة الكهان من اختطاف بعض الكلمات من أوليائهم من الجن، أو من هواجس النفس؛ ولهذا قَالَ له: «احسأ فلن تعدو قدرك». وهي كلمة زجرٍ وطرده، وهي مهموزة، تقول منه: حَسَأْتُ الكَلْبَ، ومنه: قوله -تعالى-: {قَالَ احْسُتُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون: ١٠٨]. التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩٠/١٠).

^٢ متفق عليه.
قول ابن صياد "الدُّخُّ" أراد أن يقول "الدُّحَان" فلم يستطع ولم يهتد إلى ذلك. وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «احسأ، فلن تعدو قدرك»، أي: لن تجاوز قدرك أن تعلم الغيب من قبل الوحي ولا من قبيل الإلهام. قال القاضي عياض: "وأصح الأقوال في قوله "الدُّخُّ": أنه لم يهتد من الآية التي أضمرها له -عليه السلام- إلا لهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان؛ إذ إنما يلقي الشيطان إليهم بقدر ما يختطف قبل أن يدركه الشهاب، ويدل عليه: قوله «احسأ فلن تعدو قدرك»، أي: ابعد كاهناً منخرصاً، فلن تعدو قدر هذا الصنف من الاهتداء إلى بعض الشيء، وما لا يتبين منه حقيقة". (إكمال المعلم بقوائد مسلم (٤٧٢/٨)). وقوله -

صلى الله عليه وسلم-: «إن يكنه فلن تسلط عليه» أي: إن كان هذا هو الدجال، فلست أنت الذي يقتله، وإنما يقتله عيسى بن مريم -عليه السلام-. وامتحان النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن صياد، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إن يكنه فلن تسلط عليه» يدل على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان متوقفاً في أمره لأنه لم يُوحَ إليه أنه الدجال ولا غيره. والخلاف في كون ابن صياد هو المسيح الدجال أو هو دجال من الدجاجلة خلافاً لعرض، والله أعلم.

^٣ تفسير القرآن العظيم (٢٤١/٨).

^٤ الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩).

٢) وعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- من الأنصار: أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رومي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مادًا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رومي يمثل هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، كُنَّا نَقُولُ: «وُلِدَ اللَّيْلَةُ رَجُلًا عَظِيمًا، وَمَاتَ رَجُلًا عَظِيمًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فَاتَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رُبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟

فَيَخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ...». قَالَ: «فَيَسْتَحْرِ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ، فَيَعْبُدُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ فِيهِ وَيَرِيدُونَ».^(١)

فدل الحديث أن سعي الجن لاستراق السمع ورميهم بالشهب لم ينقطع بالبعثة النبوية.

٣- الفائدة الثانية: إتيان الكهان والعرافين:

نقول أولاً: الأصل العام الذي ورد في هذا الباب هو النهي عن إتيان الكهان. عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: قلت: يا رسول الله، أموراً كنا نصنعها في الجاهلية، كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ».^(٢) وهذا النهي الأصل فيه التحريم، فهو لاء الكهان -

فيما علم بشهادة الامتحان- قوم لهم أذهان حادة، ونفوس شريفة، وطبائع نارية، فهم يفرعون إلى الجن في أمورهم، ويستفتونهم في الحوادث، فيلقون إليهم الكلمات. ويختلف الحكم في ذلك بحسب حال من أتى العرافين والكهنة، وذلك على حالات:

١) الحالة الأولى:

أن يأتي رجل الكاهن ليكشف كذبه وتدليسه وتزييفه؛ فهذا أمر مستحب من باب قوله -تعالى-: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...}[آل عمران: ١١٠]، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من رأى منكم منكراً فليغيره...»، فهذه الحالة مستحبة، بل قد تكون واجبة إذا ما انتشر فساد الكهان والعرافين في بلد ما، فأمرهم الناس من كل مكان، فصاروا فتنة في بلاد المسلمين. ** ومما يدل على مشروعيتها ذلك-مع الأدلة العامة-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد أتى ابن صياد ليبين كذبه وتدليسه، وقد سبق قريباً رواية الحديث.

** وكذلك كان يفعل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مناقشته ومناظرته للبطائحية، والرافعية، وغيرهم، وقال لهم لما دخلوا في النار، وزعموا أن أجسادهم لا تحترق وكانوا قد طلوا أجسادهم بالدهن: اغسلوها ثم ادخلوها لو كنتم صادقين، فبين عوارهم، وكشف دجلهم وباطلهم أمام الناس مجتمعين.

^١ أخرجه مسلم (٢٢٢٩).

^٢ أخرجه مسلم (٥٣٧).

** فمن كان عنده من العلم ما يمكنه من نصح هؤلاء العرّافين والدجالين، فتواصل معهم، أو أتاهاهم في أماكنهم لينكر عليهم ويبين لهم حكم الشرع فيما يفعلون- لم يكن ذلك إتياناً محرماً؛ بل هو مشروع مأمور به في حق القادر عليه، إما وجوباً، وإما استحباباً، أيّاً كانت وسيلة التواصل معهم.

٢) الحالة الثانية:

أن يأتي رجل الكاهن فيسأله عن شيء مجرد السؤال، دون أن يصدقه؛ فهذا محرم وكبيرة من الكبائر، وقد رتب عليها الشرع وعيداً كبيراً. روى مسلم عن بعض أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيءٍ، لم تُقبل له صلاةٌ أزيغ ليلته»^(١)، وهذا وعيد شديد، فالجرم العظيم الذي وقع فيه هذا الذي ذهب إلى العراف قد عادل ثواب الصلاة في أربعين صباحاً، فأسقطه، وذلك مع كون الصلاة صحيحة.^(٢)

**** إذن:: معنى قوله-صلى الله عليه وسلم-: « لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ...»:**

أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مُجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يحتاج معها إلى إعادة، فصلاة الفرض وغيرها من الواجبات إذا أتى بها المرء على وجهها الكامل ترتب عليها شيان: (أ) الأول: سقوط المطالبة، وبراءة الذمة. (ب) الثاني: ترتب الأجر عليها. فالأول لا يكون إلا بتوافر الشروط، والثاني لا يكون إلا بانتفاء الموانع.^(٣) ففي هذا الحديث قد أتى المرء بشروط الصلاة، فقبلت منه، وبرئت بها الذمة، وسقط بها الطلب يوم القيامة، فلا يطالب بها يوم القيامة مطالبةً من ترك الصلاة^(٤)، لكن -مع استيفائه للشروط- قد قام المانع من تحقق الثواب عليها، ألا وهو سؤاله للعراف.

**** قال النووي:**

"وأما عدم قبول صلاته فمعناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مُجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يحتاج معها إلى إعادة، فالواجبات إذا أتى بها على وجهها الكامل ترتب عليها شيان: سقوط الفرض عنه، وحصول الثواب؛ ولا بد من هذا التأويل في هذا الحديث، فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى

^١ أخرجه مسلم (٢٢٣٠).

^٢ قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً» قال المناوي: "وخص الصلاة لكونها عماد الدين؛ فصومه كذلك" فيض القدير (٢٢/٦). قلت: وظاهر النص قصر ذلك على الصلاة، والله أعلم.

^٣ فائدة: ما ورد في العبادات من نفي القبول هل يلزم منه نفي الصحة؟ للعلماء فيه قولان: الأول- أن القبول والصحة متلازمان؛ وعليه فإنه إذا نفي أحدهما انتفى الآخر. الثاني- أن القبول والصحة مختلفان؛ وعليه فإن القبول أخص من الصحة، إذ كل مقبول = صحيح، وليس كل صحيح مقبولاً، فيكون القبول هو الثواب؛ ومثاله: قوله -صلى الله عليه وسلم-: «من أتى عرافاً لم تقبل له صلاة».

والصحيح في ذلك التفصيل: قد يأتي نفي القبول في الشئ تارةً بمعنى نفي الصحة، كما في حديث: «لا يقبل الله صلاةً بغير طهورٍ، ولا صدقةً من غلُولٍ»، فنفي قبول صلاة المخدث -مثلاً- ليس كنفي قبول صلاة من أتى عرافاً؛ فالأول هو نفي للصحة، ولازم ذلك هو: نفي القبول، وأما الثاني فهو نفي لقبول العمل، أي: لنوابه المترتب عليه.

أن يقال: إن المانع إذا كان متعلقاً بذات الفعل -كالحديث مع الصلاة- عاد نفي القبول على نفي الصحة، وأما إذا عاد المانع لأمرٍ خارج -كصلاة من أتى العراف- عاد نفي القبول على نفي الثواب دون الإجزاء.

^٤ وإنما قلنا ذلك لئلا يقول قائل: إذا كان لا أجر له، فلم تظليونه بأداء الصلاة في الأربعين يوماً؟؟!! نقول: بل لا بد من فعلها؛ ليستطأ بها الطلب بين يدي الله-تعالى-.

العَرَّافُ إِعَادَةُ صَلَوَاتِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً؛ فُوجِبَ تَأْوِيلُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".^(١)
لِذَا فَإِنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السَّنَةِ أَنَّ السَّيِّئَاتِ لَا تُبْطَلُ الْحَسَنَاتِ، وَلَا يُحِبِّطُهَا شَيْءٌ إِلَّا الْكُفْرُ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِمَعَاقِبَتِهِ
بِتَرْكِ قَبُولِ صَلَاتِهِ، هُوَ قَبُولُ الرِّضَا، وَتَضْعِيفُ الْأَجْرِ، لَا قَبُولُ الْأَدَاءِ وَسُقُوطُ الْعَهْدَةِ.^(٢)

*****وتأمل: إذا كانت هذه حال السائل، فكيف بحال المسئول!!!**

٣) الحالة الثالثة:

أَنَّ يَأْتِيَ الْكَاهِنَ فَيَسْأَلُهُ، وَيَصَدِّقُهُ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ؛ فَهَذَا كُفْرٌ بِاللَّهِ -عز وجل- لِأَنَّهُ قَدْ صَدَّقَهُ فِي دَعْوَى عِلْمِهِ
الْغَيْبِ؛ وَالتَّصْدِيقُ لِدَعْوَى عِلْمِ الْغَيْبِ تَكْذِيبٌ لِقَوْلِ اللَّهِ-تعالى-: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ...﴾[النمل:٦٥]، وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَابِ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا
أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ-صلى الله عليه وسلم-». ^(٣)

قال الإمام البدر العيني (٨٥٥هـ) في شرح حديث المفاتيح: "مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْخَمْسِ-
مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ-فَقَدْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ".^(٤)

والقاعدة هنا: "كل من اعتقد في غير الله ما لا يُعتقد إلا في الله فقد وقع في الكفر الأكبر".

١) القسم

***** واعلم أنَّ الغيب على قسمين:**

الأول: الغيب المطلق (متعلق بالخالق):

وهو الغيب الذي يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا مما قد استأثرَ اللهُ -عز وجل- به لنفسه،
وَلَمْ يَخْبِرْ بِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ. قَالَ-تعالى-: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...﴾[الأنعام:٥٩]، وَقَالَ-
تعالى-: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ...﴾[النمل:٦٥]، فَلَمَّا جَاءَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ بِأَنَّ
الْغَيْبَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، كَانَتْ جَمِيعُ الطَّرِيقِ الَّتِي يَرَادُ بِهَا التَّوَصُّلُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ-غَيْرِ الْوَحْيِ-
مِنَ الضَّلَالِ الْمُبِينِ.^(٥) وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُهُ -تعالى- عَنِ نَبِيِّهِ -صلى الله عليه وسلم-: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي
خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ...﴾[الأنعام:٥٠]، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا
مَسَّنِيَ السُّوءُ...﴾[الأعراف:١٨٨].

^١ شرح النووي على مسلم بتصريف يسير (٧ / ٣٩٢).

^٢ إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/١٥٤) والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/٢١٥).

^٣ هذه الرواية قد سبق تخريجها أول الرسالة، وفيها زيادة لفظة "فصدَّقه"، وهي ليست مروية عند مسلم في الصحيح، ولكن قد عزاها لصحيح مسلم بعض كتب أهل العلم قديماً، ومنها: كتاب الترغيب والترهيب للمُنذري، ورياض الصالحين للنووي، ومنتقى الأخبار لابن تيمية الجَدِّ، وفتاوى الرملي، والزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي، وغذاء الألباب للسفاريني، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب. وقد رد الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب على جَدِّه -مؤلف كتاب التوحيد- نسبتها لمسلم في [تيسير العزيز الحميد] (ص: ٣٤٧)، فقال: "هذا الحديث رواه مسلم كما قال المصنف، ولفظه: حدثنا محمد بن المثني العنزي، ثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله -في نسخة: عبد الله- عن نافع عن صفية عن بعض أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً وليلة». هكذا رواه، وليس فيه: "فصدَّقه". اهـ. *** وزيادة "فصدَّقه" ثابتة في غير صحيح مسلم، فقد رواها الإمام أحمد بلفظ «من أتى عرافاً فصدقه بما يقول لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً». وقال الأرنؤوط والألباني: "إسناده صحيح على شرط مسلم". اهـ.

^٤ جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد الثبورية (٢/٩٢٨).

^٥ أضواء البيان (٢/١٩٧).

** عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ حَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدِّ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

** وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضِيَ فِيَّ حُكْمُكَ، غَدَلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...»^(٢).

** وفي حديث جبريل -عليه السلام- لما سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الساعة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل». وقد استنبط العلماء من هذا الحديث أن الملائكة لا يعلمون متى الساعة.

** ولما سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- جارية تقول: "وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدِّ" قَالَ لَهَا -صلى الله عليه وسلم-: «دَعِي هَذِهِ، وَفُوِي بِالَّذِي كُنْتَ تَقُولِينَ؛ مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدِّ إِلَّا اللَّهُ»^(٣).

٢) القسم الثاني- الغيب النسبي (متعلق بالمخلوق):

وهو الذي يتعلق بالمخلوق، أي: يعلمه بعض المخلوقين ولا يعلمه بعضهم، فيكون بالنسبة لك غيباً، وبالنسبة لغيرك معلوماً، فهذا إنما يُسمى غيباً بالنسبة للجاهل به الذي لا يعلمه، وليس بغيبٍ للذي يعلمه. ** ومثال ذلك: في قول عيسى -عليه السلام- لقومه: {...وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ...}[آل عمران: ٤٩].

** والآيات في ذلك كثيرة، ومنها: ما يلي:
فإنها غيب بالنسبة لمن لم يعلم بها، لذلك قال الله -تعالى- للنبي -صلى الله عليه وسلم-: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْهُمْ آيُهُمْ كَيْفَ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}[آل عمران: ٤٤]، وقوله -تعالى-: {عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...}[الجن: ٢٦-٢٧]، وفي قوله: {...وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ...}[آل عمران: ١٧٩].

وبهذا يتبين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يعلم الغيب علماً كلياً، وإنما كان يعلمه علماً جزئياً في حدود ما أطلعه الله عليه. الله يوحى إلى الرسل ما شاء، كما أوحى إلى نبيينا -صلى الله عليه وسلم- أشياء كثيرة من أمر الآخرة وأمر القيامة وأمر الجنة والنار، وما يكون في آخر الزمان من الدجال ونزول المسيح، وهدم الكعبة، ويأجوج ومأجوج، وغير ذلك مما يكون في آخر الزمان، كل هذا من علم الغيب أوحى الله إلى نبيه -صلى الله عليه وسلم-، فعلمنا إياه وصار معلوماً للناس، وهكذا ما يعلمه الناس من أمور الغيب عند وقوعه. ** وفي قصة

^١ أخرجه البخاري (٤٦٩٧).

^٢ أخرجه أحمد (٤٣١٨)، وانظر الصحيحة (١٩٩).

^٣ أخرجه البخاري (٣٧٧٩) والترمذي (١٠٩٠).

موت سليمان -عليه السلام- قال -تعالى-: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} [سبأ: ٤].^(١)
قال قتادة: "... لو كان أحد يعلم الغيب لعلم الجن حيث مات سليمان -عليه السلام- فلبيئت تعمل حولا في أشد العذاب، وهم لا يشعرون بموته، وما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته، فلما خر تبينت الجن أن لو كانت تعلم الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، وكانت الجن تقول مثل ذلك، أنها كانت تعلم الغيب، تعلم ما في غد؛ فابتلاهم الله بذلك".^(٢)

*** ومن خلال ما سبق من ذكر أنواع الغيب، يكون حكم من ادعى علم الغيب ومن صدقه في ذلك على تفصيل:**

(١) من ادعى علم الغيب المطلق فقد كفر؛ لأنه مكذب لله -عز وجل-، قال الله -تعالى-: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل: ٦٥]، وإذا كان الله -عز وجل- قد حجب عن نبيه -صلى الله عليه وسلم- علم الغيب، فهل أنتم تعلمونه؟!

كذلك فإن علم الغيب هو من اختصاص الله -عز وجل-، فمن ادعى معرفته فقد جعل نفسه شريكاً لله -تعالى- في ذلك!

**** كذلك يقال هنا:** "لما تمدح -سبحانه- بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى، وينظر في الكتب، ويزجر بالطير- ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه؛ بل هو كافر بالله، مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه".^(٣)

**** ومن اعتقد في منجم أو رمال أنه يعلم الغيب فهو مشرك بالله؛ وذلك لأنه اعتقد في غير الله -تعالى- ما لا يُعتقد إلا في الله -عز وجل-.**

*** قال السعدي -رحمه الله-:**
"فإن الله -تعالى- هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرهما، أو صدق من ادعى ذلك، فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه، وقد كذب الله ورسوله".^(٤)
***** فالذي أنزل على محمد هو قول الله -تعالى- {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ...} [النمل: ٦٥]، وهذا من أقوى طرق الحصر؛ لأن فيه النفي والإثبات؛ فالذي يصدق الكاهن في علم**

^١ قال العلامة الألوسي: "وفي الآية دليل على أن الغيب لا يختص بالأمور المستقبلية، بل يشمل الأمور الواقعة التي هي غائبة عن الشخص أيضاً" [روح المعاني] (١١/٢٢٩).

^{**} ومن القصص التي تتعلق بمسألة الغيب النسبي: ما وقع مع بعض الصالحين، لما دخل على بعض الأمراء وعنده عراف يقول للناس: خذوا ما شئتم من الحصى في أيديكم وأنا أعرفكم، فيأخذ الناس الحصى ويخبونه عن ذلك الرجل، فيعدونه، ثم يقول ذلك العراف: في يدك كذا من الحصى عدد كذا، ويكون كلامه صحيحاً، فلما جاء ذلك الرجل الصالح قال: أنا أتجاهد أن يعرف ما في يدي، فأخذ قبضة من الحصى، فلم يعدها، قال: كم يدي؟ قال: كذا، فعدها، فإذا هي بخلاف ما قال العراف. فقالوا له: كيف فعلت؟! قال: أنتم عددتم لما قبضتم الحصى، فعده معكم القرين فأخبره، وأنا لم أعده، فلم يعد معي القرين، فلم يستطع أن يعرف!

^٢ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٦٥٣٦)، وانظر الشرك في القدم والحديث (ص/٤٧٢).

^٣ الجامع لأحكام القرآن (٢٨/١٩).

^٤ القول السديد (ص/١٠٠).

الغيب وهو يعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله فهو كافر كفرة أكبر مخرجاً عن الملة؛ وإن كان جاهلاً ولا يعتقد أن القرآن فيه كذب فكفره كفرٌ دون كفر.^(١)

**** وكذلك يقال أيضاً:** إن ما يدعيه الكهّان والعرافون من معرفتهم للغيب النسبي، من الأمور الواقعة بين الخلق وغيرها، فإنهم لا يصلون إلى ذلك إلا إذا تقربوا للجن بالعبادات والذبح والنذر وغيرها من الطرق الشركية.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي:

"كثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به، ومن جهة التقرب إلى غير الله".^(٢)

**** ومن الصور المعاصرة لما يسلكه من يدعي علم الغيب:** ما يفعلونه عن طريق "قراءة الكف" أو "النظر في الفجان" أو "رسم الخط على الرمال" أو "قراءة الأبراج" كبرج الثور و برج العقرب وغيرها، ويزعمون بأن من وُلد في برج الثور مثلاً سيحدث له كذا، ويسافر إلى بلاد كذا، ونحوه مما فيه ادعاء علم الغيب.^(٣)

ومما يُلبسون به على العامة: ترى طائفة من المنجمين المعاصرين الذين يستخبرون عن تواريخ مواليد الناس لربط ذلك بالأبراج، زعماً منهم وجود علاقة تأثير بين الأحوال الفلكية والحوادث الأرضية. وما هؤلاء إلا ضرب من الكهانة، اختلفت أشكالهم وتوافقت مشاربهم. وكثير من المسلمين قد تعلقت قلوبهم بمثل هذه الأمور، ولا شك أنّ من ادّعى العلم الطالع، أو ادّعى العلم بقراءة الكف- كاهن عرّاف مكذب لله ورسوله. وغالب حال هؤلاء من الكهّان والمنجمين يأتون بأخبار الناس من خلال استخدامهم للجن، الذين يأتونهم بالأخبار التي تتعلق بالغيب النسبي.

قال -تعالى-: **{... وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا...}** [الأنعام: ١٢٨]، **والمعنى:** تمتّع كل من الجنّي والإنسي بصاحبه، وانتفع به. فالجنّي يستمتع بطاعة الإنسي له وتعظيمه واستعاذته به، فيفعل الإنسي ما يُمليه عليه الجني من إهانة القرآن وكتابته بالدم ونحو ذلك. والإنسي يستمتع بخدمة الجنّي له ببعض شهواته، ويحصل له منه بعض الحوائج الدنيوية، فيأتيه بالأخبار الغائبة عن بعض الناس .

**** فليحذر المرء من هذه الأفعال التي تُحبط عمله من حيث لا يدري!** **### فمن طالع هذه الأبراج التي تنتشر على المجلات أو مواقع الشبكة العنكبوتية فقد وقع بين واحد من هذه**

^١ القول المفيد (١ / ٥٣٩).

^٢ القول السديد في مقاصد التوحيد (ص/٨٤).

^٣ البروج: هي منازل الشمس، وهي اثنا عشر برجاً أقسم الله بما بقوله -تعالى-: {وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج: ١]، وهي: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسُّنْبُلَة والميزان والعقرب والقوس والجذّي والدّلّو والحوت؛ وهي أشهرٌ عادية، ولا يعلم ما يحدث فيها إلا الله-تعالى-، فمن ادّعى أنه يحدث في برج الثور كذا أو في برج العقرب كذا فهو ممن يدعي علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله-تعالى-.

المحظورات:

(أ) اعتقاد التأثير:

أن يعتقد أن النجوم والأفلاك والكواكب تؤثر في الخلق وأفعالهم، والاعتقاد بأنّ برجاً معيناً من النجوم هو الذي يجلب الحظ أو النّحس؛ فهذا اعتقادٌ شركيٌّ مخرج من الملة، ومُعتقِد ذلك مشرك؛ فقد جعل مع الله -تعالى- من يخلق أفعال العباد، واعتقد في غير الله -تعالى- ما لا يُعتقد إلا في الله.

(ب) اعتقاد السببية:

بأن يعتقد بوجود علاقة سببية بين ما يقع له من خير أو شر وبين مواقع الأبراج واختلاف توقيتاتها الزمنية، وصاحب هذا الاعتقاد واقع في الشرك الأصغر؛ فكل من اتخذ سبباً لم يشرعه الله -عز وجل- ورسوله -صلى الله عليه وسلم- سبباً فقد وقع في الشرك الأصغر، قال -تعالى-: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ...} [الشورى: ٢١].

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"والله -

سبحانه- قد جعل في النجوم من المنافع لعباده وسخرها لهم ومن منافعها الظاهرة ما يجعله -سبحانه- بالشمس من الحرّ والبرد والليل والنهار، وإنضاج الثمار، وخلق الحيوان والنبات والمعادن، وكذلك ما يجعله بها من الترطيب والتبييض وغير ذلك من الأمور المشهورة، كما جعل في النار الإشراق والإحراق، وفي الماء التطهير والسقي، فمن قال من أهل الكلام إنّ الله يفعل هذه الأمور عندها لا بها، فعبارته مخالفة لكتاب الله -تعالى- والامور المشهورة، كمن زعم أنها مستقلة بالفعل هو شرك مخالف للعقل والدين".^(١)

(ج) وإما أن يكون قد فعل ذلك من باب التسلية:

فيقع تحت قول النبيّ -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ أَتَى عَرَفًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(٢).

ووالذي نفسي بيده فإن من ادعى أنه يفعل ذلك من باب التسليّ فسَيَجِدُ تأثيراً لما قرأ على قلبه -ولا محالة- فالقلوب ضعيفة.

**وتعظم الفتنة حينما يتوافق ما قرأه مع ما قدره الله -تعالى-: في بعض الأحيان قد يصدّق كلام الأبراج، ويكون هذا

الأمر فتنة وامتحاناً، وليس دليلاً على صدقهم ولا على إبطال الشرع؛ فإن الدجال الأكبر يقول للسماء: أمطري، فتمطر، ولالأرض: أنبتي، فأنبتت، وللخربة: أخرجي كنوزك، فتخرج كنوزها، تتبعه، ويقتل رجلاً ثم يمشي بين شقّيه، ثم يقول له: قم، فيقوم، ومع هذا فهو دجال، كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وقال: "يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيّبات بما يستترّقه من السمع، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب".

فالواجب عدم التعلّق بقول هؤلاء، فَمَنْ تَعَلَّقَ بأقوالهم وَكَلَهُ اللهُ إليهم، وَحَرَمَهُ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَهُدَايَتِهِ!

^١ مجموع الفتاوى (١٦٧/٣٥).

^٢ سبق تخريجه.

د) وإما أن يكون قد فعل ذلك مصدقاً لكلام الكاهن أو العراف:

فيكون قد وقع تحت قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(١).

* وهذا الكفر يختلف بحسب حال السائل:

أ) إن اعتقد أن الكاهن على علم بالغيب المطلق، فقد وقع في الكفر الأكبر المخرج من الملة.

ب) وإن اعتقد أن الكاهن على علم بالغيب النسبي، فقد وقع في الكفر الأصغر.

من التناقض البين: الاعتقاد

ثم يقال أيضاً:

أن لمواليد كلِّ برج صفاتٍ وخصائصَ متماثلة متفقة؛ فإنه يولد في كلِّ ساعة الآلاف من البشر في العالم، ولم يثبت أن هؤلاء يحملون الصفاتِ نفسها، فكيف يستقيم كلام المنجمين باتفاق خصائص مواليد الشهر نفسه أو البرج نفسه؟!

"ومما يدل على فساد

* قال الشيخ علي الملا القاري:

قولهم: أن يقال لهم: أخبرونا عن مولودين وُلدا في وقت واحد؛ أليس يجب تساويهما في كل وجه، ولا تمييز بينهما في الصورة والقَدَّ والمنظر، وحتى لا يصيب أحداً نكبةً إلا أصاب الآخر، وحتى لا يفعل هذا شيئاً إلا والآخر يفعل مثله؟ وليس في العالمِ اثنانِ هذه صفتُهما"^(٢).

* وكذلك ظهر اختلاف المنجمين في الأبراج التي يبنون عليها أحكامهم من عدّة وجوه؛ منها: أعداد البروج، وأسمائها، ومدّة كلِّ منها، ودلالاتها على خصائص المولودين فيها، وغير ذلك.

وقد ذكر أحد علماء الفلك أن مسألة الأبراج تعبر عن حقيقة واحدة فقط، وهي كمية الغباء الموجودة عند المنجمين؛ وذلك لأن عدد الأبراج اثنا عشر برجاً، يبدأون دائماً ببرج الحمل، وينتهون ببرج الحوت.

وفي الواقع أن الشمس كانت في برج الحمل، وذلك قبل الميلاد بنحو ألف سنة؛ والآن الشمس واقعة في برج الحوت؛ فجماعة المنجمين لا يعلمون هذا الموضوع، فهل سينجم المنجمون بناءً على ما كان قبل ألف سنة أم بعد ذلك!!؟

**وقال: إن الصحافة العالمية المرموقة -على حدّ تعبيره- تخجل من وضع صفحة مثل (حظك اليوم)، إنما نجد ذلك في الصحافة المتخلفة أو في الكتب المتخلفة فحسب.

فرع: حكم تعلم "علم التنجيم":

تعريف "علم التنجيم": التنجيم هو أحد أقسام الكهانة؛ ولذا يسمى بعضهم المنجم كاهناً. وقد اتخذ المنجمون علم النجوم وسيلةً لادّعاء علم الغيب وادّعاء علم الكوائن والحوادث التي ستقع في

^١ سبق تخريجه.

^٢ وانظر مرقاة المفاتيح (٢٩١١/٧).

مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح ومجيء الأمطار وتغير الأسعار وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تُدرَك بمعرفتها مسير الكواكب والنجوم.^(١)

**** وأما حكم تعلم هذا الفن من العلوم فهو على تفصيل:**

(١) أما ما كان فيه

ادعاء علم الغيب وربط الأشياء وتأثيرها بالتنجيم، وهو ما يسمى "علم التأثير" فهو محرم، وهو ضربٌ من السحر، عن ابن عباس-رضي الله عنهما-قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ زَادَ مَا زَادَ».^(٢) # وقد نصَّ الرافعي والنووي وغيرهما على أن تعلم السحر وتعليمه حرام، ودرجاته متفاوتة، وهذا إن لم يحتج في تعليمه إلى اعتقادٍ هو كُفْرٌ، وأما فعله فيحرم إجماعاً، ومن اعتقد إباحته كفرٌ، ولا يظهر السحر إلا على فاسق.

فهذا القسم يحرم تعلمه؛ لأنه يبنّي على دعوى علم الغيب، وهذا من الكفر المخرج من الملة.^(٣)

****فالمحرّم من علم النجوم إنما هو ما يزعم به أصحابه الاستدلال على الحوادث الأرضية، فيستدل مثلاً باقتران النجم الفلاني بالنجم الفلاني على أنه سيحدث كذا وكذا؛ وهذه أمور بيّنة البطلان، فإن الأحوال الفلكية لا علاقة بينها وبين الحوادث الأرضية، كما أن قيام المنجم بالاستدلال على الحوادث والوقائع عن طريق حركات النجوم هو من جنس الاستقسام الأزلام، وقد قال-تعالى-في ذكره للمحرّمات: {...وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ...}[المائدة:٣]، وقد ورد في حديث الصحيحين، حديث زيد بن خالد عن النبي-صلى الله عليه وسلم-مرفوعاً: «مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكُوكِبِ»^(٤)؛ فمثل هذا النوع من علم النجوم قد حرم الشرع تداوله وأخذ الأجرة عليه: عَنْ أَبِي**

مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَهَى عَنْ تَمَنِ الْكَلْبِ، وَمَهْرِ الْبَغِيِّ، وَخُلُوعِ الْكَاهِنِ»^(٥)

«وَالْكَاهِنُ»^(٥) **وخُلُوعِ الْكَاهِنِ:** هو ما يُعطاه على كهانته. وقد نقل البغوي والقاضي عياض إجماع المسلمين

على تحريمه؛ لنهيه-صلى الله عليه وسلم-عنه. ******

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

للإمام أن يعطي أحداً لأجل منفعةٍ محرمةٍ، كعطية العرافين من الكهان والمنجمين ونحوهم.^(٦)

وقال-رحمه الله- ذاماً هؤلاء المنجمين:

يقولون الإثم ويأكلون السُّخْتِ بإجماع المسلمين، وثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم- برواية الصّدِّيق عنه أنه قال: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»؛ وأيّ منكرٍ أنكرُ

^١ مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥)، ومعالم السنن (٢٢٩/٤).

^٢ أخرجه أحمد (٢٠٠٠)، وأبو داود (٣٩٠٥)، وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٩٣/٣٥)، والنووي في رياض الصالحين ح (١٦٧٣)، وانظر الصحيحة (٧٩٣).

^٣ نواقض الإيمان القولية والعملية (ص/٥١٤)، وتبنيه الغافلين عن أعمال الجاهلين لأبي زكريا الدمشقي (ص/١٩١)، وتيسير العزيز الحميد (ص/٤٢٢).

^٤ متفق عليه.

^٥ أخرجه مسلم (١٥٦٧). و"خُلُوعِ الْكَاهِنِ" هو ما يعطاه على كهانته، يقال منه: خَلَّوْهُ خُلُوعًا إِذَا أَعْطَيْتَهُ. قال الهروي وغيره: أصله من الخلوة، شُبِّهَ بِالشَّيْءِ الْخُلُوعِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَأْخُذُهُ سَهْلًا بِلَا كُفْلَةٍ وَلَا مِقَابِلَةَ مَشَقَّةٍ، يُقَالُ: خَلَّوْهُ إِذَا أَطْعَمْتَهُ الْخُلُوعَ، كَمَا يُقَالُ: عَسَلْتُهُ إِذَا أَطْعَمْتَهُ الْعَسَلَ. وانظر المعجم بفوائد مسلم

(٢٩١/٢)، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢٣٢/١٠).

^٦ السياسة الشرعية (ص/٤٣).

من عمل هؤلاء الأخابث، سُوسِ المُلكِ، وأعداءِ الرُّسلِ، وأفراخِ الصابئةِ عبَادِ الكواكبِ؟!!" (١).
قال الماوردي:

المُحتَسِبُ مَنْ يكتسب بالكهانة واللهو، ويؤدب عليه الآخذ والمُعطي" (٢).

**** قال ضياء الدين القرشي:** "وأما المنجمون فقد وردت أحاديث دالة على النهي عن الاشتغال بهذا العلم، وهو ليس علماً يُعتمد فيه على شيء، بل جعلوه أُحْبُولَةً لأخذ الرزق؛ وحينئذ يُؤخذ عليهم ألا يجلسوا في دَرَبٍ، ولا زقاق، فإنَّ معظم من يجلس عندهم النَّسْوَانُ، وقد صار في هذا الزمان يجلس عند هؤلاء الكتاب والمنجمين مَنْ لا له حاجة عندهم من الشباب وغيرهم، وليس لهم قصد سوى حضور امرأة تكشف نَجْمها أو تكتب رسالة أو حاجة لها، فيشاكلها ويتمكن من الحديث معها بسبب جلوسه وجلوسها، ويؤدي ذلك إلى أشياء لا يليق ذكرها؛ ولو وجد أحداً يفعل ذلك عُزِّرَ ليرتدع به غيره" (٣).
(٢) القسم الثاني:

لمعرفة ما يُدرِك بالمشاهدة كعرفة ظلِّ الشمس وجَهَةِ القِبْلة ونحو ذلك؛ فلا يدخل تحت النهي، وهو ما يسمى "علم التسيير".
رخصَ في تعلُّم المنازل أحمدُ وإسحاقُ. وروى ابن المنذر عن مجاهد "أنه كان لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل منازل القمر".

***قال ابن رجب:** "المأذون في تعلمه:

علم التسيير، لا علم التأثير؛ فإنه باطلٌ محرَّمٌ قليله وكثيره، وأما علم التسيير فيتعلم ما يُحتاج إليه من الاهتداء ومعرفة القبلة والطرق جائزٌ عند الجمهور" (٤).

**** وعلى هذا يقال:** ما يُنقل عن أحوال الطقس كلِّ يوم: ليس من ادَّعاء علم الغيب؛ بل هي من علم الشهادة؛ لأنَّ الأقمار الصناعية تصور السحاب وحركة المنخفضات والمرتفعات والرياح، وليس في ذلك شبهة بدعوى علم الغيب؛ فهو يستند إلى أمورٍ حسبيَّة (٥).

١ مجموع الفتاوى (١٩٥ / ٣٥).

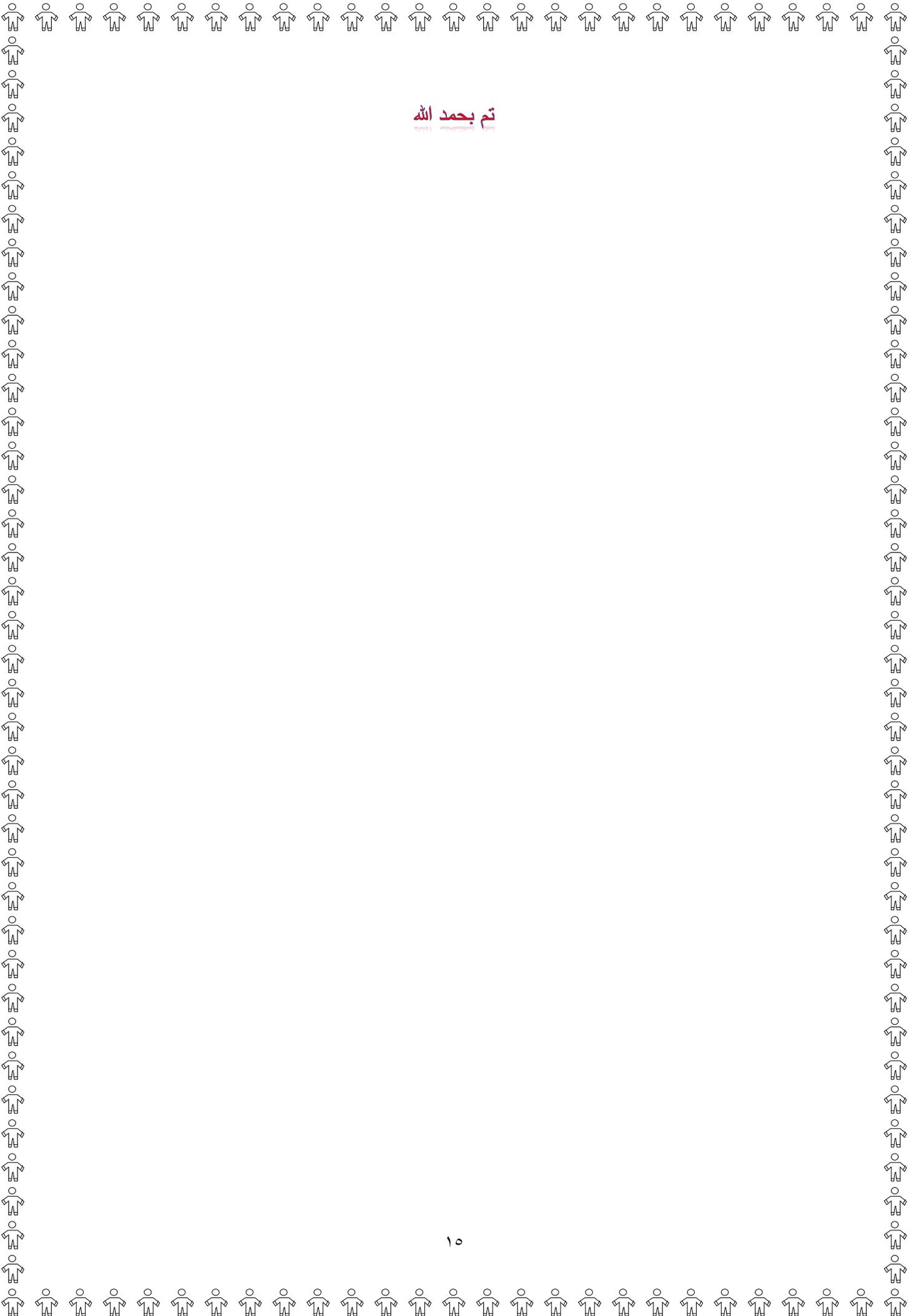
٢ الأحكام السلطانية (ص/٣٧٣).

٣ معالم القرنية في طلب الحسبة (ص/١٨٣). وقوله: "جعلوه أُحْبُولَةً لأخذ الرزق": الأُحْبُولَةُ: مفرد خبائث، والأحبول: المصيَّدة، يقال: أَوْقَعْتُهُ في أحبابيها: في شراك حُبِّها [المعجم الوسيط (١/١٥٣)].

** والذي يُطالع كتب التاريخ يجد مدى شغف الكثير من الملوك والأمراء قديماً بتقريب المنجمين منهم؛ وذلك لسؤالهم عما سيقع لهم من أمور الولاية. ومن عجيب ما ورد في هذا الأمر: ما حكاه أحمد بن علي القلقشندي في ذكره لخلافة هارون الرشيد، حيث قال عنه: "ومن عجيب أمره: أنه لما اشتد به المرض أحضر المنجمون فنظروا في مولده فقدروا له أن يعيش خمسين سنة مستأنفة بعد ذلك، فلم يعيش بعد قولهم غير عشرة أيام؛ فسُبحانَ المستأثر بعلم الغيب!"
وانظر مآثر الإنافة في معالم الخلافة (ص/٢٢٥).

٤ وانظر لذلك: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦٩/٣)، والزواجر للهيمتي (١٩٣/٢).

٥ وجاء في بحث عن ذلك كتبه الدكتور عبد الشكور العوسي الأستاذ بقسم العقيدة- كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى، قال فيه: "فإن قيل: إذا كان الخلق لا يعلمون ما يُستقبل من الحوادث، فكيف استطاع الفلكيون معرفة تواريخ الكسوف وساعاته، واستطاع مراقبو أحوال الطقس عن طريق المراصد الجويَّة الإخبار بأخباره قبل حدوثه؛ قيل: إنَّ ذلك من التجارب البشرية المتكررة التي مكنت العلماء الذين يقومون بالرصد المتواصل من توقُّع تلك الحوادث على سبيل التوقُّع والظن، لا على سبيل العلم واليقين، فكما يستنتج أحدنا تقابل قطارين في نقطة معينة إذا كان انطلاقهما في وقت واحد وسرعة واحدة سائرًا كلُّ منهما في الاتجاه المواجِه للآخر، فكذلك توقُّع الفلكيين مرور القمر بين الأرض والشمس في موضع معين في ساعة معينة لا يدل على علم الغيب، وإنما هو توقُّع مبني على التجارب والملاحظات المتواصلة والاختبارات المتكررة؛ وهذا مما لا يُجزم بحدوثه ووقوعه، والعلم بالشيء هو الجزم بما هو عليه، أو بما سيقع لا تحالَةً؛ فليُتأمل". اهـ



تم بحمد الله